

المحاضرة الرابعة : الفلسفة البراجماتية عند وليم جيمس (التجربة الدينية)

يدرس المذهب العملي الدين من وجهة نظر الحاجات الانسانية ، وجيمس لا يعنى نفسه بالبحث عن ادلة وجود الله ، وانما هو يمضي مباشرة للواقع فيجعل نقطة انطلاقه هي التجارب الدينية نفسها ، ولا يتحدث عن التجربة الدينية على العموم ، بل هو يتحدث عن تجارب دينية عديدة لانه يرى ان للتجربة الدينية من الصور بقدر ما هنالك من افراد متدينين ، ومعنى هذا ان هنالك نزعة تجريبية فردية هي التي تسم بطابعها منهج جيمس في دراسة الفلسفة الدينية ، والتجارب الدينية في نظر جيمس هي ليست مجرد وثائق نقوم بجمعها ودراستها بل هي اقرب ما تكون الى كشف ندرس من خلالها كيف تتجلى الحقيقة الالهية لافراد مختلفين .

ان صميم الدين عند جيمس هو الشعور الديني او العاطفة الدينية فليس العبر بالطقوس والفرائض بل العبرة بالروح والديانة الشخصية الباطنة والواقع ان الدين امر شخصي في جوهره ، فليس المهم ان نعرف الاسس النظرية التي تقوم عليها عقائده بل المهم ان نقف على ثماره ونتابعه ، فالدين وثيق الصلة بالحياة لان كل واحد منا يحيى وفق مزاجه الديني ، ان الشعور الديني هو الشعور بالانسجام الباطن العميق شعور بالسلام والراحة والاعتباط شعور بان كل شيء يسير على ما يرام في داخلنا وفي العالم الخارجي ايضا ، وهذا ما يشعرونا بان الحياة خلقة مبدعة فذلك ينطوي على الاحساس بمشاركة قدرة اعظم من قدرتنا والرغبة في التعاون مع تلك القدرة في تحقيق اعمال المحبة والتوافق والسلام . فالتجربة الدينية مهما تعددت صورها لا بد ان تقودنا الى الشعور باننا نشارك بطريقة لاشعورية في موجود اعظم هو الله او المبدأ الالهي .

ورغم ما يكتنف هذه التجربة الدينية من قلق وصراع وازمات نفسية فان من المؤكد ان شعور النفس بوجود قوة عليا تستطيع ان تجد لديها الغوث والعون من شأنه ان ياخذ بيدها دائما في هذه الحياة وليس هذا الشعور بمثابة وهم خادع لا اساس له بل ان التجربة تدلنا على ان في النفس من التيارات الروحية الخفية ما تعجز عن تفسيره النزعات الحسية السطحية . ويقرر جيمس ان التجربة الدينية لاتقل اهمية ونفع وشرعية عن التجربة العلمية نفسها ، وان لم تكن اكثر منها مباشرة وواقعية وعمقا لذلك تكون نقطة البدء في الدين هي المجسم اي الظاهرة او الواقعة بمظهرها الخصب المليء مما في ذلك الفكر والعاطفة والاحساس الغامض في مشاركتنا في حياة هذا الكون .